

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدُ لله مدبر الليالي والأيام ومصرف الشهور والأعوام
الملك القدوس السلام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
وشفيحاً للأنام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام. أما بعد ..
فيسرني أن أقدم هذه المحاور اللطيفة التي دمجها يراع عالمٍ
جليلٍ وسماها (انتصار الحق)، والحق منتصر لا محالة، فوافق
اسمها مسمائها وطابق لفظها معناها فجاءت قوية في ألفاظها
عميقة في معناها، رائدة في منهجها رائعة في ثمرتها، وقد
كانت هذه المحاور في أصلها مقالات نُشرت في أعدادٍ من
مجلة المنهل في عام ١٣٦٧هـ.

ونظراً لأهميتها ومسياس الحاجة لها حيث تُخاطب عُقولَ
الكثيرين ممن بهرتهم الحضارة الغربية فانطمست بصيرتهم
وأخذوا يُروجون لها ويفتخرون بها إما عن جهل حيناً، وإما
عن عداوة وكيدٍ لدينهم أحياناً. نظراً لذلك كله أحببتُ
تقديم هذه المحاور بثوبٍ جديدٍ مُعلقاً على ما يحتاج إلى
تعليق، وقد قدمتُ لها بترجمة موجزة مستلة من الترجمة

الصَّافِيَةِ لِعَلَّامَةِ الْقَصِيمِ وَالَّتِي سَتَرَى النُّورَ قَرِيباً إِنْ شَاءَ
اللَّهُ^(١)، وَإِنِّي بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ يَدٌ فِي
إِخْرَاجِهَا مَشُورَةً وَفِكْرَةً وَطَلَباً فَلِهَؤُلَاءِ جَزِيلُ الشُّكْرِ
وَخَالِصُ الدُّعَاءِ؛ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يَحِبُّ
وَيَرْضَى وَأَنْ يَرْحَمَ الْمُؤَلِّفَ وَيَفْتَحَ لَهُ فِي مَنَازِلِهِ وَيَرْفَعَ دَرَجَتَهُ
مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنُ أَوْلَئِكَ رَفِيقاً.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم
تَسْلِيماً كَثِيراً .

كتبه

أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار

في ضحوة الجمعة ٤/٤/١٤١٢هـ

الزلفي

(١) طبعت هذه الترجمة بعنوان صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ
عبدالرحمن بن سعدي - رحمه الله - وقد طبعتها دار ابن الجوزي عام
١٤١٣هـ.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد طبعت هذه الرسالة بتقديمي وتعليقي عام ١٤١٢هـ، أي قبل أربعة عشر عاماً، وقد نفع الله بها نفعاً عظيماً، وهاهي الطبعة الثانية الخيرية بعناية المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة بالرياض والتي يرجى لها أن يتحقق بها النفع كما تحقق — والله الحمد — بسابقتها .

ورغبة في الاختصار والتيسير على القارئ رغب الإخوة في المكتب حذف الترجمة، والإحالة على ترجمتي الموسعة للشيخ المطبوعة مستقلة بعنوان (صفحات من حياة علامة القصيم) الشيخ عبدالرحمن السعدي والتي نشرت عام ١٤١٣هـ.

وحيث أن عمل الإخوة من باب الاحتساب فقد أذنت لهم بطباعتها بعد الأخذ بالملحوظات التي دونتها على المطبوعة، سائلاً الله — جل وعلا — أن يوفق القائمين على المكتب لما فيه الخير والصلاح للبلاد والعباد، وأن يجزي كل

عامل للإسلام خيراً، وأن يثبتنا وإياهم بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يرزقنا وإياهم العلم النافع
والعمل الصالح، صلى الله وسلم على نبينا محمد .

وكتب

أ.د عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار

مكة المكرمة

مساء الخميس: ٦/٧/١٤٢٦هـ

حول هذه المحاوره

أقبل ابنُ سعدي -رحمه الله - على العلم إقبالاً منقطع النظر وصرف له وقته وجهده فحصل الشيء الكثير وتمكن في مختلف العلوم والمعارف مما جعله يتأهل للتدريس والتعليم في زمن مبكر من عمره فتوافد إليه الطلاب من كل مكان وأصبحت حلقاته تعج بالدارسين ينهلون من مختلف العلوم.

”طريقته في التدريس“

وقد سلك ابنُ سعدي طريقةً حديثةً في التعليم حيث كان يحاور تلاميذه ويناقشهم ويطرح المسائل عليهم ويطلب منهم إعادة الدرس، وكثيراً ما كان يسأل عن درس الأمس ليرى مدى تحصيل الطلاب، وبهذا الأسلوب الفريد كسب الطلاب واستفادوا كثيراً.

”عنايته بالتأليف“

ومع كثرة هذه الحلقات وكثرة هؤلاء الدارسين فيها اعتنى الشيخُ السعدي عنايةً فائقةً بالتأليف على غير عادة كثير من

علماء عصره اكتفوا بالحلقاتِ وتعليم التلاميذ لأن التأليف يأخذ منهم وقتًا طويلاً.

أما الشيخ السعدي فقد ترك مؤلفاتٍ كثيرةً في مختلف العلوم والمعارف سلك في تأليفها طرقاً متعددة من أنجحها وأنفعها طريق الحوارِ المفترض بين اثنين يمثلان وجهتي نظري متعارضتين، وهذا اللونُ من التأليفِ أبدعَ فيه ابن سعدي وقربَ فيه مسائل كثيرةً لذهن السامع والقارئ قد لا يستوعبها في التأليف المعتاد.

لقد استطاع الشيخ -رحمه الله- أن يصلَ إلى عقل القارئ بكلِّ يسرٍ وسهولةٍ، وهذه المحاورَةُ التي بين أيدينا تمثل نمطاً جديداً من الكتابة طرَّقه ابنُ سعدي قبل ما يقرب من نصف قرنٍ من الزمان.

وهذه المحاورَةُ اللطيفةُ الهادئةُ جمعت بين قوة الحجة ووضوح المحجة وسلامة المنهج، وبُعدِ النظرِ والبحثِ عن الأسبابِ وعلاجها ثم الوصول إلى الثمرة المرجوة، كل ذلك في صفحاتٍ يسيرةٍ لا تتجاوزُ العشرين صفحة، فرحمَ الله ابنَ

سعدى وأعلى منزله فى المهديين وجمعنا به فى جناتِ
النعيم.

محاورة دينية اجتماعية

خطر الإقامة بين الكفار^(٢) :

هذه صورة محاورة بين رجلين كانا متصاحبين رفيقين^(٣) مسلمين، يدينان بالدين الحق، ويشغلان في طلب^(٤) العلم جميعاً، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا، فإذا هذا الغائب قد تغيرت^(٥) أحواله وتبدلت أخلاقه، فسأله

(٢) جميع العناوين زيادة من المحقق وليست في الأصل.

(٣) الجليس له أثر كبير جداً ويكفي في ذلك قوله ﷺ "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك أما أن يحذيك أو تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة" رواه البخاري ومسلم. انظر : صحيح البخاري (ج ٧ ص ١٢٥) وصحيح مسلم (ج ٣ ص ٣٨).

(٤) طلب العلم مما يعين الإنسان في طريقه إلى الله وهو من أفضل القربات، وأجل الطاعات وصدق الله العظيم. (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون). سورة الزمر : آية ٩.

وقال ﷺ : "وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب". رواه الترمذي صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٤٢.

(٥) كثير من الذين سافروا للخارج ولم يبحثوا عن المحضن الإسلامي وقعوا في شرك الأعداء ولذا لم تبتلى الأمة الإسلامية بمثل أولئك الذين سافروا للخارج

صاحبه عن ذلك، فإذا هو قد تغلّبت عليه دعايةُ الملحدين^(٦) الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ما جاء به المرسلون. فحاوله صاحبه وقلبه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب فأعيتته الحيلة في ذلك، وعرف أن ذلك علةٌ عظيمةٌ ومرضٌ يفتقرُ إلى استئصال الداء ومعالجته بأنفع الدواء وعرف أن ذلك متوقفٌ على معرفة الأسباب^(٧) التي حولته والطرق التي أوصلته إلى الحالة المخيفة وإلى فحصرها وتمحيصها وتخليصها وتوضيحها، ومقابلتها بما يضادها

فغسلت أدمغتهم ثم أتوا إلى بلادهم وهم أشد ما يكونون عداوةً لدينهم ومبادئهم وبلادهم وعملوا جاهدين على تعميق فصل الأمة عن ماضيها ومحاولة ربطها بالغرب في كل شيء.

(٦) حرص أعداء الإسلام على استقطاب ثلّة من المثقفين وعرض بضاعتهم عليهم فمن أخذها منحوه أعلى الأوسمة ودفعوه فوق ما يستحق، بل وهبوا له فوق ما يحلم به لأنه أداتهم التي عن طريقها يتحركون وعصاهم التي بها يضربون.

(٧) كل من أراد بحث قضية من القضايا أو مشكلة من المشكلات وجب عليه بحث أسبابها ودراستها ثم وضع العلاج الناجع للقضاء على هذه الأسباب وبالتالي علاج المشكلة أو القضية من جذورها، وهذا ما فعله ابن سعدي في هذه المحاوره الرائعة.

ويقيمُها على وجه الحكمة والسداد، فقال لصاحبه
مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك:

يا أخي، ما هذه ^(٨) الأسباب التي حملتك على ما أرى؟ وما
الذي دعاك إلى نبذ ما كنتَ عليه؟ فإن كان خيراً كنتُ أنا
وأنت شريكين، وإن كان غير ذلك فأعرفُ من عقلك
ودينك وأدبك أنني وأنت لا ترضي أن تقيمَ على ما يضُرُّك.

الإعجاب بالكفار وأعمالهم

فأجابه صاحبه قائلاً : لا أكتمك أيُّ قد رأيتُ المسلمين على
حالةٍ لا يرضاها ذوو ^(٩) الهمم العلية : رأيتُهم في جهلٍ وذِلِّ

(٨) من أراد مناقشة أحد وإيصال الحق إليه فلا ينبغي أن يبدأ بتخطئته فيما هو عليه، بل يتدرج معه في بيان الحق فيحسن الدخول إلى قلبه ثم يبدأ شيئاً فشيئاً حتى يوضح له الحق ويبين له خطأ ما هو فيه، وما ينبغي أن يكون عليه وبهذا المسلك الراشد تميز بعض الدعاة فكانت لهم الآثار الإيجابية على المدعوين.

(٩) هذه مشكلة كثير من المنحرفين إذا دعوتهم للحق جعلوا واقع المسلمين حجة على الإسلام وهؤلاء سواء جهلوا أو تجاهلوا مخطئون لأن الإسلام هو الذي ينبغي أن يحكم في الواقع لا أن نجعل الواقع حكماً على الإسلام فمن أراد أن يعرف الإسلام فليقرأ نصوصه وليتبين حكمها وأسرارها، وإن شاء مثلاً واقعيّاً للمجتمع المسلم فليلق نظرة على القرون المفضلة التي كانت لها الريادة والقيادة.

وخمول، وأمورهم مدبرة، وفي الجانب الآخر هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنون الراقية والمخترعات العجيبة المدهشة والصناعات المتفوقة، رأيتهم قد دانت لهم الأمم، وخضعت لهم الرقاب، وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفة بما شاؤوا ويعدونهم كالعبيد والأجراء، فرأيت فيهم العز الذي بهمني، والتفنن الذي أدهشني فقلت في نفسي : لو لا أن هؤلاء القوم هم القوم وأنهم على الحق والمسلمون على الباطل لما كانوا على هذا الوصف الذي ذكرت لك. فرأيت أن سلوكي سبيلهم واقتدائي بهم خير لي وأحسن عاقبة فهذا الذي صيرني إلى ما رأيت.

فقال له صاحبه حين أبدى ما كان خافياً : إذا كان هذا هو السبب الذي حوّلك إلى ما أرى فهذا ليس من الأسباب التي يبني عليها أولوا الألباب والعقول عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم ومستقبل أمرهم، فاسمع يا صديقي تمحيص هذا الأمر الذي غرك وحقيقته :

أفتفريط المسلمون نحتج على الدين؟

إنَّ تأخر المسلمين فيما ذكرت ليس ناشئاً عن دينهم، فإنه قد علم كلُّ من له أدنى نظر وبصيرة أنَّ دينَ الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح في أمور الدين وفي أمور الدنيا، ويحثُّ على الاستعداد من تعلم العلوم والفنون النافعة، ويدعو إلى تقوية القوة المعنوية^(١٠) والمادية لمقاومة الأعداء، والسلامة من شرهم وأضرارهم، ولم يستفد أحدٌ منفعةً دنيويةً فضلاً عن المنافع الدينية إلا من هذا الدين، وهذه تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا تنادي أهلها : هَلُمَّ إِلَى الاشتغال بجميع الأسباب النافعة التي تُعليكم وتُرقِّكم في دينكم ودنياكم. أفتفريط المسلمون تحتجُّ على الدين؟! إن هذا هو الظلمُ المبينُ !.

(١٠) يقول الحق تبارك وتعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون). الأنفال ٦٠.

”من الخطأ الحكم على الإسلام من خلال واقع المسلمين”

أليس من قصور النظر ومن الهوى والتعصب، النظرُ في أحوال المسلمين في هذه [الحقبة من الزمن] التي تدهورت فيها علومهم وأعمالهم وأخلاقهم، وفقدوا فيها جميع مقومات دينهم، وتركوا النظر إليهم في زهرة^(١١) الإسلام والدين في الصدر الأول، حيث كانوا قائمين بالدين، مستقيمين على الدين، سالكين كل طريق يدعو إليه الدين، فارتقت أخلاقهم وأعمالهم حتى بلغت مبلغاً ما وصل إليه ولن يصل إليه أحدٌ من الأولين والآخرين، ودانت لهم الدنيا من مشارقها إلى مغاربها وخضعت لهم أقوى الأمم وذلك بالدين الحق والعدل والحكمة والرحمة، وبالأوصاف الجميلة التي كانوا عليها؟!

(١١) كان المسلمون قادة العالم فخر العالم هذه القيادة الراشدة بسبب تخاذل المسلمين وضعفهم وبعدهم عن دينهم وفرقتهم وتناحرهم فيما بينهم مما جعل الأعداء يطمعون فيهم ويغيرون عليهم حساً ومعنى صباح مساء.

الجهاد في سبيل الله

أليس ضعف المسلمين^(١٢) في هذه الأوقات يوجب لأهل البصائر والنجدة منهم أن يكون جدُّهم ونشاطهم وجهادهم الأكبر متضاعفاً، ويقوموا بكل ما في وسعهم لينالوا المقامات الشامخة ولينجُوا من الهُوَّة العميقة التي وقعوا فيها؟ أليس هذا من أفرض الفرائض وألزم اللزمات في هذا الحال؟ فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين فيه له فضلٌ عظيمٌ يفوق سائر العبادات، فكيف إذا كانوا على هذه الحالة التي وصفت؟ فإن الجهاد لا يمكن التعبير عن فضائله وثمراته. ففي هذه الحالة يكون الجهادُ على قسمين :

(١٢) مما لا يشكُّ به عاقل أن ضعفَ المسلمين اليوم جاء من ضعف أفرادهم وعدم تربيتهم، ويوم أن تتربى شبيبةُ الإسلام على العلم والرشد والصلاح والتقوى يوم أن يقوى المجتمعُ المسلمُ ويتماسك بنيانُه وصدق الحبيب المصطفى : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" رواه البخاري (صحيح البخاري ح ٣ ص ٩٨، وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠).

أحدهما : السعي في تقويم المسلمين^(١٣) وإيقاظ همهم
وبعث عزائمهم وتعليمهم العلوم النافعة، وتهذيبهم
بالأخلاقِ الراقية، وهذا أشقُّ الأمرين وهو أنفعُهُمَا
وأفْضَلُهُمَا.

والثاني : السَّعي في مقاومة الأعداء وإعداد جميع العدد
القولية والفعلية والسياسية، الداخلية والخارجية، لِتُناوَأَهم
والسلامة من شرهم!.

”كيف يكون المسلم خدنا لأعدائه“؟!

أفحين صار الأمرُ على هذا الوصف الذي ذكرت، وصار
الموقف حرجاً تتخلى عن إخوانك المسلمين وتتخلف مع
الجبنة والمخالفين؟ فكيف مع ذلك تنضم إلى حزب
المحاربين! الله الله يا أخي، لا تكن أقل ممن قيل فيهم :
(تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) سورة آل عمران :
الآية ١٦٧ .

(١٣) من أعظم أدواء المسلمين اليوم عدم إعداد الفرد المسلم إعداداً متوازناً إعداد
روحه وعقله وجسمه.

قاتلوا لأجل دينكم^(١٤) أو ادفعوا لأجل قومكم ووطنكم.
لا تكن مثل هؤلاء المنافقين، فأعيزك يا أخي من هذه الحال
الذي لا يرضاها أهل الديانات ولا أهل النجديات
والمروءات. فهل ترضى أن تشارك قومك في حال عزهم
وقوة عددهم وعنصرهم، وتُفارقهم في حال ذلهم
ومصائبهم. وتحذلهم في وقت اشتدت فيه الضرورة إلى
نصرة الأولياء ورد عدوان الأعداء؟ فهل رأيت قوماً خيراً
من قومك أو شاهدت ديناً أفضل من دينك؟
فقال المنصوح : الأمر هو ما ذكرت لك، ونفسي تنوق إلى
أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وترقوا
في^(١٥) هذه الحياة.

(١٤) لم تصب الأمة الإسلامية في مختلف عصورها بمصيبة أشد وأنكى من هؤلاء المخذلين أصحاب الوجهين الذي عشعش النفاق في قلوبهم وأكل وشرب معهم فأخذوا يطعنون الأمة الإسلامية في قلبها وهم سر خذلاتها على مدار تاريخها الطويل.

(١٥) بريق الحضارة وبهرجها ما هو إلا كالأصباغ التجميلية على وجه العجوز الشمطاء إذا تفحصته وجدته خراباً بلقعا لا ينفع في العاجل ولا في الآجل.

” ترك الدين رغبة في حضارات الغرب ”

فقال له صاحبه وهو يحاوره : رفضت دينًا قيّمًا كامل القواعد ثابت الأركان مشرق البرهان، يدعو إلى كل خير ويحث على السعادة والفلاح، ويقول لأهله هَلُمَّ إلى كل صلاح وإصلاح، وإلى كل خير ونجاح، واسلكوا كلَّ طريق يوصلكم إلى السعادة الدُّنيوية والأُخروية. دينا مبنيا على الحضارة الراقية الصحيحة التي بنيت على العدل والتوحيد، وأسست على الرحمة والحكمة والعلم والشفقة وأداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وسلّمت من الظلم والجشع والأخلاق السافلة، وشمّلت بظُلّها الظليل وإحسانها الطويل وخيرها الشامل، وبمائها الكامل، ما بين المشارق والمغارب، وأقرّ بذلك الموافق والمنصف المخالف... أتركها راغبًا في حضارات ومدنيات مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الطمع والجشع والقسوة وظلم^(١٦) العباد، فاقدة لروح

(١٦) ألم تهلك بسبب هؤلاء أمم وشعوب ألم تسلب خيرات وثروات ألم تنتهك أعراض وحرمان، ولعل في بلاد الأفغان في هذا العصر خير شاهد ودليل.

الإيمان ورحمته، عادمة لنور العلم وحكمته حضارة ظاهرها مُزَخَرَفٌ مُزَوَّقٌ، وباطنها خرابٌ، وتظنها تعمّر الوجُودُ، وهي في الحقيقة مآلها الهلاكُ، والتدميرُ؟ ألم تر آثارها في هذه الأوقاتِ، وما احتوت عليه من الآفات والويلاتِ، وما جلبته للخلائق من الهلاكِ والفناء والتدميرِ؟.

فهل سمعَ الخلقُ منذ أوجدَهم الله هذه المجازرَ البشريّةَ التي انتهى إليها شوطُ هذه الحضارةِ نظيراً أو مثيلاً، وهل أغتَ عنهم مدنيّتهم وحضارتهم من عذاب الله من شيءٍ لما جاء أمرُ ربِّك، وما زادهم غير تنبيهِ؟ فلا يحدّثك ما ترى من المناظر المزخرفة والأقوال المموهة، والدعاوي العريضة، وانظرُ إلى بواطن الأمور وحقائقها، ولا تغرنك ظواهرها، وتأمل النتائج الوخيمة، والثمرات الذميمة فهل أسعدتهم^(١٧) هذه الحضارة في دنياهم التي لا حياة لهم

(١٧) الواقع أن ما يراه الشخص من مظاهر المتعة ما هو إلا هروب من الهموم المتراكمة والأحزان المتلاحقة فمن لم يطعم سعادة الدنيا بالعبادة يحرم سعادة الآخرة.

يرجون غيرها؟! أم تراهم ينتقلون من شرٍ إلى شرورٍ؟ ولا يسكنون في وقتٍ إلا وهم يتحفزون إلى شرورٍ فظيمةٍ ومجازرٍ عظيمةٍ؟ فالقوة والمدنية والحضارة والمادة بأنواعها إذا خلت من الدين الحق فهذه طبيعتها وهذه ثمراتها وويلاتها ليس لها أصول وقواعد نافعة، ولا لها غايات صالحة.

هلاك المسلم في ترك دينه

ثم هب أنهم مُتَّعُوا في حياتهم واستُدْرِجُوا فيها بالعزِّ والرياسة ومظاهر القوة والحياة، فهل إذا انحزت إليهم وواليتهم يُشركونك في حياتهم ويجعلونك كأبناء قومهم؟ كلا والله، إنهم إذا رضوا عنك جعلوك من أرذل خُدَّامهم! وآية ذلك أنك في ليلك ونهارك تكدح في خدمتهم، وتكلم وتجادل وتخاصم على حسابهم، ولم ترهم رفعوك حتى ساووا معك أدنى قومهم وبني جنسهم!! فالله الله يا أخي في دينك^(١٨) وفي مُروءتك وأخلاقك وأدبك!! والله الله في بقية

(١٨) أثبت الواقع أن المتكبرين لدينهم يلفظهم الأعداء إذا أدركوا مقصودهم منهم ويبتعد عنهم بنو جنسهم فيعيشون في حيرة عظيمة تنتهي بهم إلى نهاية وخيمة.

رمقك!! فالانضمام إلى هؤلاء والله هو الهلاك.

أثر الجليس الصالح وجليس السوء

فقال له المنصوح : لقد صدقتَ فيما قلتَ، ولكن لي على هذا المذهب أصحابٌ مثقفون .. ولي على هذا الرأي شبيبة مهذبون. قد تعاقدتُ معهم على التمسك بالإلحاد واحتقار المستمسكين بدين رب العباد، قد أخذنا نصيباً وافراً من اللذات، واستبحنا ما تدعو إليه النفوسُ من أصنافِ الشهواتِ فأنتى لي بمقاطعة هؤلاء السادة الغرر، وكيف لي بمباينتهم وقد اتصلت بهم غاية الاتصال؟! فالآن يتنازعني داعيان : داعي الحق - بعدما بان سبيله واتضح دليله - وداعي النفس والاتصال هؤلاء الأصحاب المنافي للحق غاية المنافاة، فكيف الطريق الذي يريحي ويشفيني، وما الذي عن هذا الأمر^(١٩) يسليني؟

(١٩) مصيبة المصائب انجراف الشخص مع رفقة السوء حتى يوردوا المهالك فيظن أنه لا يمكن أن يرجع عن هذا الطريق ولا يستقيم له أمر والحق أنه ليس بينه وبين انقلاب حياته من السوء إلى الصلاح ومن الرذيلة إلى الفضيلة إلا التوبة الصادقة.

فقال له صاحبه الناصح : ألم تعلم أن من أوجب الواجباتِ وأكبر فضائل الرجل اللبيب أن يتبع الحق الذي تبين له ويدع ما هو فيه من الباطل، وخصوصاً عند المنازعات النفسية والأغراض الدنيوية؟ وأن الموفق، إذا وقع في المهالك، طلب الوسيلة إلى تحصيل الأسباب المنجية؟ أما علمت أن من نعمة الله على العبد أن يُقيضَ له الناصحين الذين يرشدونه إلى الخير ويأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر^(٢٠) ويسعون في سعادته وفلاحه؟ ثم من تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم ولا يتشبه بمن قال الله فيهم :

(ولكن لا تحبون الناصحين) سورة الأعراف. الآية : ٧٩.

ثم أعلم أنه ربما كان الإنسان إذا ذاق مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال ثم تراجع إلى الحق، الذي

(٢٠) صدق الحبيب المصطفى " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تبئاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة". رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ج ٧ ص ١٢٥ وصحيح مسلم ج ٣ ص ٣٨).

هو حبيب القلوب، كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه! فارجع
إلى الحق صادقاً وثق بوعده الله :
(إن الله لا يخلف الميعاد). سورة آل عمران، الآية : ٩.

”البحث عن الحق”

فإذا عرفت هذه الأصول فهذا الدين الحق الذي دعت إليه
الرُّسُلُ عُمومًا وخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ خصوصًا، قد بُني
وأُسس على التوحيد والتأله لله وحده لا شريك له حُبًا
وخوفًا ورجاءً وإخلاصًا وانقيادًا وإذعانًا لربوبيته
واستسلامًا لعبوديته قد ذلَّ على هذا الأصل الذي هو أكبر
جميع أصول الأدلة العقلية والفطرية، ودلت عليه جميع
الكتب السماوية، وقرره جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم
من أهل العلوم الراسخة والألباب الرزينة والأخلاق العالية
والآداب السامية، كل أولئك اتفقوا على أن الله منفردٌ
بالوحدانية منعوتٌ بكل صفة كمال، موصوفٌ بغاية الجلال
والعظمة والكبرياء والجمال، وأنه الخالق الرازق المدبر
لجميع الأمور، وأنه مفرَّدٌ عن كل صفة نقص، وعن مُماثلةٍ

المخلوقين، وأنه لا يستحقُّ العبادةَ والحمدَ والثناءَ والشكرَ
إلا هو، فالدين الإسلامي على هذا الأصلِ أُسسَ وعليه قامَ
واستقامَ.

”بطلان ما عليه الملحدون”

وأما ما عليه أهلُ الإلحادِ فإنه ينافي هذا الأصلَ غايةَ المنافاةِ،
فإنه مبنيٌّ على إنكارِ الباري رأسًا، فضلًا عن الاعترافِ له
بالكمالِ وعن القيامِ بأوجبِ الواجباتِ وأفرضِ الفروضِ
وهو عبوديته وحده لا شريكَ له، فأهل هذا المذهب أعظمُ
الخلقِ مكابرةً وإنكارًا لأظهرِ الأشياءِ وأوضحِها فمن أنكر
الله فبأي شيءٍ يعترف ؟ (فبأي حديثٍ بعد الله وآياته
يؤمنون) سورة الجاثية: الآية ٦.

وهؤلاء أبعدُ النَّاسِ عن عبوديةِ الله والإنابةِ إليه، وعن
التَّخَلُّقِ بالأخلاقِ الفاضلةِ التي تدعو إليها الشَّرَائِعُ، وتخضعُ
لها العقولُ الصحيحةُ ومع خُلُوِّ قلوبهم من توحيدِ الله
والإيمان به وتوابع ذلك فهم أجهلُ النَّاسِ، وأقلُّهم بصيرةً
ومعرفةً بشريعةِ الإسلامِ وأصولِ الدينِ وفروعه، فتجدهم

يَكْتُبُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ وَيَدْعُونَ لِأَنفُسِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
وَالثَّقَافَةِ وَالْيَقِينِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ.

”فضل طالب العلم الشرعي على غيره“

ولو طُلبَ من أحدهم أن يتكلمَ عن أصلٍ من أصولِ الدينِ
العظيمةِ الذي لا يسعُ أحداً جهله، أو على حُكمٍ من
الأحكامِ في العباداتِ والمعاملاتِ والأنكحةِ لظهرَ عجزُهُ ولم
يصلِ إلى ما وصلِ إليه كثيرٌ من صِغارِ طلبةِ العلمِ الشرعيِّ،
فكيف يثِقُ العاقلُ - فضلاً عن المؤمن - بأقوالهم عن الدينِ؟
فأقوالهم في مسائل^(٢١) الدينِ لا قيمةَ لها أصلاً.

ولو سبرتِ حاصل ما عليه رؤساؤُهُم لرايتَهُم قد اشْتَغَلُوا
بشيءٍ يسيرٍ من عُلُومِ العَرَبِيَّةِ، وَتَرَدَّدُوا فِي قِرَاءَةِ الصُّحُفِ
التي على مشربِهِم، وَتَمَرَّنُوا عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي مِنْ جِنْسِ

(٢١) مما ابتليت به أمة الإسلام أنه تجرأ على الكلام في الأحكام الشرعية كثير من الناس الذين لا حظ لهم من العلم والبصيرة وأصبحت الفتوى والقول على الله بغير علم في هذه الأوقات من أسهل الأمور عند الكثيرين فإلى الله المشتكى من عمر يلزم أكابر العلماء ومن حدث ناشئ يفتي في قضايا الأمة الخطيرة التي توقف فيها جهاذة العلم وأساطينه.

أساليب كثير من هذه الصحف الرديئة الساقطة فظنوا بأنفسهم وظن بهم أتباعهم الاضطلاع بالمعارف والعلوم .. فهذا أسمى ما يصلون إليه^(٢٢) في العلم.

أما الأخلاق فلا تسأل عن أخلاق من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يعتقد الأديان الصحيحة، فإن الأخلاق نتائج الاعتقادات الصحيحة والفاصلة، فغاية ما عند هؤلاء التملق القولي والفعلي، والخضوع الكاذب للمخلوقين، وهم مع هذا الخضوع السافل تجد عندهم من العجب والكبر واحتقار الخلق والاستتكاك عن مخالطة من يستقصونهم شيئاً كثيراً، فهم أوضع خلق الله وأعظمهم كبراً وتيهاً.

ثم إنهم يستعينون على هذا الخلق المسمى عندهم بالثقافة بالتصنيع والتجمل بالملابس، والفرش، والزخارف، ويفنون كثيراً من أوقاتهم بذلك وقلوبهم خراب خالية من الهدى

(٢٢) فرق شاسع بين أن يتكلم المسلم في الأمور الشرعية وبين أن يتحدث في قضية معينة حديثاً يعبر به عن وجهة نظره الخاصة.

والأخلاق الجميلة، فالجمال الظاهر الباطل ماذا يُغني عن
الجمال الحقيقي؟ ثمَّ إذا لحظت إلى غاياتهم ومقاصدهم فإذا
هي أغراض دنية ومقاصد سُفلية ومطامع شخصية، وإذا
سبرت أحوالهم رأيتهم إذا اجتمعوا^(٢٣) تَظُنُّهُمْ أصدقاءَ
مجتمعين فإذا افترقوا فهم الأعداءُ :
(تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون).
سورة الحشر الآية : ١٤ .

وما وصفتُ لك من أحوالهم - وأنت تعرفُ ذلك - قليلٌ
من كثيرٍ فكيف ترضى أن يكون هؤلاء أحيابك وأصدقاءك
ترضى لرضاهم وتسخط لسخطهم وتقدمهم على حظوظك
الحقيقية وسعادتك الأبدية؟ فانظر إلى صفاتهم نظرَ التحقيق
والإنصاف، وقارن بينهما وبين نُعوتِ البررة الأخيار. الذين
امتَلأت قلوبُهم من محبةِ الله والإنابةِ إليه والإيمانِ وإخلاصِ

(٢٣) رحم الله العلامة السعدي كأنه يرى بعين بصيرته هؤلاء الذين يعيشون بين
ظهرانينا اليوم وهم ممن يتكلم بلغتنا ومن بني جلدتنا لكنهم من أشد الناس عداوة
للخير وأهله.

العمل لأجله، وفَاضَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالثَّناءِ عَلَيْهِ،
وَاشْتَغَلَتْ جَوَارِحُهُمْ فِي كُلِّ وَسِيلَةٍ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَتُدْنِيهِمْ
مِنْ رِضْوَانِهِ وَثَوَابِهِ وَنَفْعِ الْخَلْقِ، أَشْجَعُ النَّاسِ قُلُوباً
وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا وَأَطْهَرُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَزْكَاهُمْ عَمَلًا وَأَقْرَبُهُمْ
إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يَكْفُونَ عَنِ الْخَلْقِ الْأَذَى
وَيَبْذِلُونَ لَهُمْ وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى، أَفْتَقَدُّمُ عَلَى
هَؤُلَاءِ الْإِنْجَابِ الْغُرَرِ مَنْ مَلِئَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الشَّكِّ وَالنِّفَاقِ
وَفَاضَتْ عَلَى ظَاهِرِهِمْ، فَاسْتَسْبَوْا لِذَلِكَ أَرْذَلَ الْأَخْلَاقِ،
يَقُومُونَ بِالنِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَيَقْعَدُونَ بِالتَّمَلُّقِ وَالْإِعْجَابِ
وَالكِبْرِيَاءِ، وَصَفَهُمُ الْقَسْوَةُ وَالطَّمَعُ وَالْجَشَعُ، وَنَعْتُهُمُ
الْكَذِبُ وَالْغِشُّ وَالْبَهْرَجَةُ وَالْخُنُوعُ، قَدْ مَنَعُوا إِحْسَانَهُمْ لِكُلِّ
مَخْلُوقٍ وَاتَّصَفُوا بِكُلِّ فُسُوقٍ، قَدْ خَضَعُوا فِي مَجْوَثِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ
لِكُلِّ مَارِقٍ، وَتَبَعُوا فِي أَخْلَاقِهِمْ كُلَّ رَذِيلٍ وَفَاسِقٍ؟

سعادة الدنيا والآخرة بالدين

قال المنصوح : والله ما تعديت في وصفهم مثقال ذرة،
ولكني أريد أن تدلني على طريق يجمع بين السعادة

الدينية^(٢٤) والسعادة الأخروية، لأن نفوس من تربي وتخلق بأخلاق هؤلاء لا ترجع عما ألفت إلا بأمر قوي : إما بترغيب وهوى يجذبها، وإما بترهيب وخوف يقمعها. فقال له صاحبه الناصح : والله لقد أدركت في هذا الدين مطلبك، وفيه والله كل مرادك ومرغوبك، فإنه الدين الذي جمع بين سعادة الدنيا والآخرة وفيه اللذات القلبية والروحية والجسدية، ولا تفقد من مطالب النفوس الحقيقية شيئاً إلا أدركته، ولا من أنواع المسرات شيئاً إلا حصلته، ففيه ما تشتهيهِ النفس وتلدُّ الأعين، وسأوضح لك ذلك.

أصول اللذات

فاعلم أن أصول اللذات المطلوبة :
أولاً : راحة القلوب وسكونها وطمانينتها، وفرحها وبهجتها وزوال همومها وغمومها.
ثانياً : القناعة والطمانينة بما أوتيهِ العبد من المطالب

(٢٤) الإسلام جمع بين خيري الدنيا والآخرة وهو الدين الوحيد الذي حقق التوازن في كل شيء بين متطلبات الروح والعقل والجسد.

الجَسَدِيَّة.

ثالثاً : استعمالُ ذلكَ على وَجْهِ يَحْصُلُ بِهِ السُّرُورُ
والاغتباط، فَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ، مَنْ رُزِقَهَا وَاسْتَعْمَلَهَا عَلَى
وَجْهِهَا فَقَدْ نَالَ كُلَّ مَا تَعَلَّقَ بِهِ طَمَعُ الطَّامِعِينَ، فَإِنَّ جَمِيعَ
اللَّذَاتِ تَرْجِعُ إِلَى مَا ذَكَرْنَا.

لذات القلوب :

فأما لذات القلوب وحصُولُ سُرُورِهَا وَزَوَالُ كُدْرِهَا فَإِنَّهَا
أَصْلُ ذَلِكَ بِالْإِيْمَانِ التَّامِّ بِمَا دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى الْإِيْمَانِ بِهِ مِنْ
الْإِيْمَانِ بِتَوْحِيدِهِ بِجَمِيعِ نُعُوتِ الْكَمَالِ وَامْتِلَاءِ الْقَلْبِ مِنْ
تَعْظِيمِهِ وَجَلَالِهِ وَمِنْ التَّأَلُّهِ لَهُ وَعُبُودِيَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ
وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ لَوَجْهِهِ الْأَعْلَى، وَمَا يَتَّبَعُ
ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحِ لِعِبَادِ اللَّهِ وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ وَبَذْلِ الْمَقْدُورِ مِنْ
نَفْعِهِمُ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارِ
وَالْتَّوْبَةِ فَمَنْ أُوتِيَ هَذِهِ الْأُمُورَ فَقَدْ حَصَلَ لِقَلْبِهِ مِنَ الْهُدَايَةِ
وَالرَّحْمَةِ وَالنُّورِ وَالسُّرُورِ وَزَوَالِ الْأَكْدَارِ وَالْهَمُومِ وَالْغُمُومِ
مَا هُوَ نُمُودَجٌ مِنْ تَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ هَذَا الشَّأْنِ لَا يَغْبُطُونَ

أَرْبَابِ الدُّنْيَا^(٢٥) وَالْمُلُوكِ عَلَى لَذَاتِهِمْ وَرِيَّاسَاتِهِمْ بَلْ يَرُونَ
مَا أُعْطَوْهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ يَفُوقُ مَا أُعْطِيَهِ هَؤُلَاءِ بِأَضْعَافٍ
مُضَاعَفَةٍ. وَهَذَا النَّعِيمُ الْقَلْبِي لَا يَعْرِفُهُ حَقُّ الْمَعْرِفَةِ إِلَّا مَنْ
ذَاقَهُ وَجَرَّبَهُ فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ :

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ نَعِيمِ الْقَوْمِ يَدْرِيه

وَمَنْ دَرَأَهُ غَدًّا بِالرُّوحِ يَشْرِيهِ

فَهَذَا إِشَارَةٌ لَطَرِيقِ هَذَا النَّعِيمِ الْقَلْبِي الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ
نَعِيمٍ.

٢ - " الْقَنَاعَةُ وَالطَّمَانِينَةُ "

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْعِبَادَ الْقُوَّةَ وَالصِّحَّةَ وَمَا
يَتَّبَعُ ذَلِكَ مِنْ مَالٍ وَأَهْلٍ وَوَلَدٍ وَخَوْلٍ وَغَيْرِهَا.
وَالنَّاسُ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ نَوَعَانُ :

— قِسْمٌ صَارَتْ هَذِهِ النَّعَمُ فِي حَقِّهِمْ مِحْنًا وَنِقْمًا.

— وَقِسْمٌ صَارَ فِي حَقِّهِمْ نَهْمًا وَخَيْرَاتٍ وَمِنْحًا، أَمَّا أَهْلُ

(٢٥) لَذَةُ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ لَا يَدَانِيهَا لَذَةُ (وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ
فِيهِ مِنَ اللَّذَةِ لَجَالِدُونَا عَلَيْهِ بِالسِّيفِ).

الَّذِينَ الْحَقِيقِي فَقَدْ قَابَلُوا هَذِهِ النَّعْمَ وَتَلَقَوْهَا عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لِلَّهِ وَالِاغْتِبَاطِ بِفَضْلِهِ وَتَنَاوَلُوهَا عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى طَاعَةِ الْمُنْعِمِ وَعَلِمُوا أَنَّهُمَا مِنْ أَكْبَرِ الْوَسَائِلِ لَهُمْ إِلَى رِضَى رَبِّهِمْ وَخَيْرِهِ وَثَوَابِهِ إِذَا اسْتَعْمَلُوهَا فِيمَا هُيِّئَتْ لَهُ وَخُلِقَتْ لِأَجَلِهِ وَقَدْ رَضُوا بِمَا عَنِ اللَّهِ كُلِّ الرِّضَى، فَإِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ فِي جَمِيعِ أَقْصِيَّتِهِ وَأَقْدَارِهِ، وَلَهُ الرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِي جَمِيعِ تَدَابِيرِهِ، وَلَهُ النَّعْمَةُ السَّابِغَةُ فِي كُلِّ عَطَايَاهُ وَهُوَ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ فَحَيْثُ عَلِمُوا الْعِلْمَ الْيَقِينِي صَدُورَهَا مِنْ هَذَا شَأْنُهُ قَنَعُوا بِمَا أُعْطَوْهُ مِنْهَا، مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، كُلُّ الْقَنَاعَةِ، وَسَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ التَّطَلُّعِ وَالتَّطَلُّبِ لِمَا لَمْ يَقْدَرْ لَهُمْ.

وَمَتَى حَصَلَتْ الطَّمَأْنِينَةُ وَالْقَنَاعَةُ وَالرِّضَى عَنِ اللَّهِ بِمَا أُعْطِيَ فَقَدْ حَصَلَتْ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، فَإِذَا أَدْرَكْتَ حَقَّ الْإِدْرَاكِ نَعْتَهُمْ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ نَعِيمُ الْقَنَاعَةِ بِرِزْقِ اللَّهِ، وَطَّمَأْنِينَةُ الْقُلُوبِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ هَؤُلَاءِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ - وَهِيَ الْقُوَّةُ

والصحة والمال والأهل والولد وتَوَابِع ذلك - إلا الشيء
القليل لكان في راحةٍ وسرورٍ من جهتين:
— جهة القناعة وعدم تطلع النفس وتَشَوُّقها للأمور التي لم
تَحْصُل.

— وجهة ما ترجوه من ثواب الله العاجل والآجل على هذه
العِبَادَةِ القَلْبِيَّةِ التي تزيد على كثير من العِبَادَاتِ البدنية، فإنَّ
التعبد لله بمعرفة نعمه والاعتراف بها والرضى بها والرجاء لله
أن يُديمها ويُتمِّمها وأن يجعلها وسيلة إلى نِعَمٍ أخرى وأن
يجعلها طريقاً للسعادة الأبدية لا ريب أن هذه الأحوال
القَلْبِيَّةِ من أفضل الطاعات وأجل القربات، فكم من فرق
بين سرور هذا الذي تعبَّد بروح الدين وحصلت له الحياة
الطَّيِّبَةِ، وبين من تلقى هذه النِّعَمَ بالغفلة وعدم الاعتراف
بنعمة المنعم وشقي بمومها وغُموها، وكان إذا حصل له
شيء من مطالب النفوس لم يرضَ به بل تَشَوَّق إلى غيره
وتطلَّع لسواه فهذا ينتقل من كدرٍ إلى كدرٍ آخر، لأن قلبه
قد تعلق تعلقاً شديداً بمطالب الجسد، فحيث جاءت على

خلافٍ ما يؤمله ويُريده قلق أشد القلق، وهو لا يزال في قلقٍ مستمرٍ، لأنَّ المطالبَ النفسية متنوعة جداً، فلو وافقه واحدٌ لم يوافقهُ الآخر وربما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجه، وحزن من وجه آخر فصَفوه ممزوج بكدره وسروره مختلط بحزنه، فأين الحياة الطيبة لهذا؟! وإنما الحياة الطيبة لأرباب البصائر والحجى الذين يتلقونها كلها بالقبول والقناعة والرضى.

٣ - "جهة استعمال النعم"

وأما الأمر الثالث : وهو جهة استعمال هذه النعم، فصاحب الدين الصحيح يتناولها على وجه الشكر لله على نعمه والفرح بفضله، وينوى بها التقوى على ما خلق له من عبادة الله وطاعته، ويُنفقها مُحْتَسِباً بما رضى الله وفضله وخلفه العاجل والآجل، ويعلم أنه إذا أنفق على نفسه وأهله أو ولده أو من يتصل به فإِنَّمَا نَفَقَتَهُ صَادَفَتْ مَحَلَّهَا ووقعت موقعها فلم يتشاكل كثرة النفقة في هذا الطريق لأنه يُقُولُ مُعْتَقِداً : هذا أولى ما بذلت فيه مالى، وهذا ألزم ما

قُمتُ به من الواجباتِ والفُروضِ^(٢٦)، وهذا خير ما قُمتُ به من المُستحباتِ، وهذا أعظم ما أرجو له الخلف من الله حيثُ يقول وهو الكريمُ الوفي :

(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين). سورة سبأ، الآية : ٣٩.

ولا يزال نصبَ عينيه احتسابُ الأجرِ في سعيه بكسبه وفي مصرفه أجناس ذلك وأنواعه وأفراده متفطنًا لقوله ﷺ "على أنَّك لن تُنفق نفقةً تَبْغِي بها وجهَ الله إلا أُجرتَ عليها حتى ما تجعله في في امرأتك"^(٢٧) فمن كان هذا وصفه فإنَّ لذاته الدنيوية هي اللذات الحقيقية السالمة من الأكدار مع ما يرجو من الثواب العاجل والآجل من الله، ومن كانت هذه صِفته سهل عليه الأخذ من جُلِّها ووضعها في محلِّها

(٢٦) يقول تعالى : (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ). الأنعام (١٦٢/١٦٣).

(٢٧) رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨٦، وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٥).

ويسرّت له أمورهِ غَايَةَ التَّيسِيرِ .

وأما من استعمل هذه النعم على وجه الشرّ والغفلة، ولم يفكر في الاعتراف بفضل الله في كل الأوقات وبنعيم الله، ولم يفرح بالنعم لأنهما من فضل الله بل فرح بها فقط لموافقة عرضه النفسي ولا نوى بها الاستعانة على طاعة الله، ولا احتسب في نيلها^(٢٨) وصرفها على المنفق عليهم الأجر والثواب فمن كان هذا وصفه فإن الكدر والحزن له بالمرصاد، فإنه إذا فاتته بعض الشهوات النفسية حزن، وإن أدرك ما أدركه منها ولم يكن على ما في خاطره من كل وجه حزن، وإن أراد منه ولده ومن يتصل به نفقة أو كسوة واجبة أو مستحبة حزن، ولم تخرج منه إلا بشقّ الأنفس، وإن خرجت منه خرج معها بضعة من سرور قلبه، لأنّه يُحبُّ بقاء ماله ويحزنُ لنقصه على أي وجه كان وليس

(٢٨) قال الشاعر : "ابن عثيمين" :

ونسعى لجمع المال حلا ومأثما وبالرغم يحويه البعيد وأقرب
نحاسب عنه داخلا ثم خارجا وفيما صرفناه ومن أين يكسب

عنده من الاحتساب ما يُهَوَّنُ عليه الأمر، إن كان غير
بخيل، فإن كان شحيح النفس مطبوعاً على البخل فإن حياته
مع أولاده وأهله والمتصلين به حياة شقاء وعذاب وأكدار
متواصلة وأحزان مستمرة، لا إيمان عنده يُهَوَّنُ عليه
النفقات، ولا نفس سخية لا تستعصي عن نيل المكرمات فيا
له من عذاب حاضر وعذاب مستمر، فأين هذا من ذاك
الذي حصلت له الحياة الطيبة بأكملها.

هذا كله بالنظر إلى هذه الأمور الثلاثة التي هي أصل
اللذات عند العقلاء، قد اتضح لنا أن صاحب الإيمان
الصحيح هو الذي فاز باللذات الحقيقية وسَلَمَ من
المكدرات.

” صبر المؤمنين على المصائب ”

ثم إذا عطفنا النظر إلى الطوارئ البشرية التي لا بُدَّ لكل عبدٍ
منها، وهي المصيبات التي تعتري العباد: من الأمراض
المتنوعة وموت الأحبة وفقد الأموال ونقصها ووقوع
المكاره بمن تحب وزوال المحاب، وغيرها من أنواع المصائب،

دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا، رَأَيْتَ الْمُؤْمِنَ حَقًّا قَدْ تَلَقَّاهَا بِقُوَّةٍ وَصَبْرٍ
وَاحْتِسَابٍ، وَقَدْ قَامَ لَهَا بَارْتِقَابُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَأَنَّهَا أَقْضَيْتُهُ صَدَرَتْ مِنَ الرَّبِّ
الرَّحِيمِ، فَهَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَخَفَّتْ عَلَيْهِ وَطَأَتْهَا فَإِنَّهُ إِذَا فَكَّرَ
فِيهَا مِنْ آلَامِ الشَّقَاةِ قَابَلَهَا بِمَا تَتَّصِمُنُهُ مِنْ تَكْفِيرِ
السَّيِّئَاتِ وَتَكْثِيرِ الْحَسَنَاتِ وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ وَالتَّخْلُقِ
بِأَخْلَاقِ الْكِرَامِ وَالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَإِذَا أَنْهَكَتْ بَدَنَهُ وَمَالَهُ
رَأَاهَا مُصْلِحَةً لِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ، فَإِنَّ صَلَاحَ الْقُلُوبِ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ
عَلَى نِعَمَائِهِ وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَائِهِ، وَانتَظَارِ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ إِذَا
أَلَمَّتِ الْمُلَمَّاتُ، وَاللَّجْوَاءُ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُزْعَجَاتِ
الْمُقْلِقَاتِ. فَأَقْلُ الْأَحْوَالِ عِنْدَ هَذَا الْمُؤْمِنِ أَنْ تَتَقَابَلَ عِنْدَهُ
الْمَصَائِبُ وَالْمَحَابُّ وَالْأَفْرَاحُ وَالْأَتْرَاحُ، وَقَدْ تَصِلُ الْحَالُ
بِخَوَاصِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ أَفْرَاحَهُمْ^(٢٩) وَمَسَرَّاتِهِمْ عِنْدَ

(٢٩) "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا
لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ (صَحِيحٌ مُسْلِمٌ ج ٣ ص
٢٢٩).

المصيبات تَزِيدُ على ما يحصلُ فيها من الحزنِ والكَدْرِ الذي
جُبِلَتْ عليه النَّفُوسُ.

”من فقد الإيمان فقد الصبر“

فأين هذه الحالُ من حالٍ من تلقى المصيباتِ التي لا بد
للخلقِ منها بقلبٍ مترعجٍ مرعوبٍ وخَشَعَتْ نفسه المهينة لما
فيها من الشَّدائدِ والكُرُوبِ، فبقيت الحسراتُ تنتاب قلبه
ورُوحه، وزادت مصائبُ قلبه على مصائبِ بدنه، ليس
عنده من الصبرِ وارتقابِ الثوابِ ما يخفف عنه الأُحزانَ،
ولا من الإيمانِ ما يهُوُّ عنه الأشجانَ، تعتريه المصائبُ فلا
تجد عنده ما يُخَفِّفُها، فتعمل عملها في قلبه ورُوحه وبدنه
وأحواله كُلِّها.. القلبُ مليءٌ من الهمِّ والغَمِّ والألمِ، والخوفِ
السَّابِقِ واللاحِقِ قد ملأ نفسه فأنحلَّ لذلك لُبُّه وانحطم، وقد
ضَعُفَ تَوَكُّله على الله غاية الضَّعْفِ، حتى صار قلبه يتعلق
بمن يرجو نفعه من المخلوقين؟ فيا لها من مصائبِ دنيويةٍ
اتصلت بالمصائبِ الدينيةِ والخُلُقِيَّةِ وتراكم بعضها فوقَ
بعضٍ حتى صارت عنده أعظم من الجبالِ الرواسي.

فوالله لو عَلِمَ أَهْلُ الْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ بِمَا فِي الْإِيمَانِ وَالرُّوحِ
والتَّسْلِيَةِ والحياة الطيبة لسارعوا إليه، ولو في هذه الحال
التي هم فيها مضطرون إلى ما يخفف عنهم آلامهم، ولا
يجدونهُ إلا في الإيمان الصحيح الحقيقي وما يدعو إليه.

معاشرة الخلق

ومما يتعلق به سرورُ الحياة، ونعيمُها، أو همُّها وغمُّها،
مُعَاشَرَةُ الْخَلْقِ على اختلاف طبقاتهم، فمن عاشَهم بما
يدعو إليه الدينُ استراحَ، ومنَ عاشَهم بحسبِ ما تدعو إليه
الأغراضُ النَّفْسِيَّةُ، فلا بد أن يكونَ عيشه كدراً، وحياتُهُ
منغصَّةً .. وتوضيح ذلك أن الناس ثلاثة أصنافٍ : رئيسٌ،
ومرؤوسٌ، ونظيرٌ.

أما من له رئاسة حُكْمٍ، أو ثروة، وله أتباعٌ وحاشيةٌ، فله
معهم حالان : حالة فيما يفعله معهم، وحالة فيما يصيبه من
أتباعه من خيرٍ وشرٍ، وموافق للطبع ومخالف له، فإن هو
حَكَمَ الدِّينَ والشرعَ، في الحالين استراح وله أجرٌ من الله،
إذا استعمل العدلَ معهم، واستعمل النَّصْحَ والإِحْسَانَ،

وقابل المسيء^(٣٠) منهم بالعفو، وشكرهم على فعل المعروف والخير، مبتغياً بذلك وجه الله، وأيضاً فإنه إذا تأمل فيما فعله من خير اطمأنت نفسه وانشرح صدره، فأين هذا من الرئيس الذي لا يبالي بظلم الناس في دمائهم^(٣١) وأموالهم وأعراضهم، ولا يبالي بسلوك طرق العدل والإنصاف، وليس له صبر على أية أذية تصيبه من رعيته؟ فهو من أتباعه في نكد مستمر، ورعيته قد ملئت قلوبهم من مقتته وبغضه، يتربصون به الدوائر والفرص، حتى إذا وقع في أقل شيء أعانوا عليه أعدى أعدائهم فهو معهم غير مطمئن على حياته ولا نعمته، لا يدري متى تفجؤه البلايا، ليلاً أو نهاراً،

(٢٠) يقول تعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصلت (٣٥/٣٤).

(٣١) يقول الرسول ﷺ في خطبته العظيمة في حجة الوداع "..... إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.....".

رواه البخاري ومسلم (صحيح البخاري ج ١ ص ٢٦ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٣٩).

هذه حالة الرئيس^(٣٢) على وجه الإجمال.

”أثر طاعة الله”

وأما حالة المرؤوس، فإن أطاع الدين في وظيفته وأطاع حاكمه أو سيده، أو والده، واستعمل الآداب الشرعية في معاملته، والأخلاق المرضية، فهو مع طاعته لله ولرسوله قد استراح وأراح، وطابت عنه نفس رئيسه، وأمن عقوبته، وأمل إحسانه وبرّه ومحبتّه، وأما من تعدى طوره، وعصى متبوعه والتوى فإنه لا يزال مُتوقعًا لأنواع المضارّ، يمشي خائفًا وجلًا لا يقرّ له قرار، ولا يستريح له.

وأما حالة النظير المساوي فإنّ جمهور من تعاشرهم من الخلق إذا خالقتهم بالخلق الحسن، اطمأنت نفسك، وزالت عنك الهموم، لأنك تكتسب بذلك مودّتهم، وتحمد عداوتهم، مع ما ترجوه من عظيم ثواب الله على هذه العشرة التي هي من أفضل العبادات، فإنّ العبد يبلغ بحسن

(٣٢) يا بني لا تكن رأسا فإن الرأس كثير الأذى.

خُلِقَهِ^(٣٣)، درجة الصائم القائم. وحسن الخلق له خاصية في فرح النفس، لا يعرف ذلك حق معرفته إلا المجربون .. فأين حال هذا ممن عاشر الناس بأسوا الأخلاق؟ فخيرهُ ممنوع، وشرهُ غير مأمون، وليس له أقل صبر على ما يناله من المكدرات، فهذا قد تنغصت عليه حياته، وحضرته همومه وحسراته، فهو في عناء حاضر، ويخشى من الشقاء الآجل .. وأما معاشرته مع أهله وأولاده ومن يتصل به فإنه يتأكد عليه القيام بالحقوق اللازمة، تامة لا نقص فيها ولا تبرم، فمن عامل هؤلاء بما أمر الله ورسوله، راجياً بقيامه به ثواب ربه ورضاه، عاش معهم عيشة راضية، ومن كان معهم في نكد وسوء خلق مع الصغير والكبير، يخرج من بيته غضبان ويدخل على أهله وولده متكدرًا ملآن، فأى حياة لمن كانت هذه حاله؟ وما الذي يرجوه حيث ضيع ما فيه فرحه ومسراته؟ وأما عشرته مع معامليه، فإن استعمل معهم النصح والصدق وكان سمحًا إذا باع، سمحًا إذا

(٣٣) "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطنون أكنافا الذي يألفون ويؤلفون". رواه الترمذي (صحيح الترمذي ج ٢ ص ١٩٦).

اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى - حصلت له
الرحمة، وفاز بالشرف والاعتبار، واكتسب مودة معامليه
ودوام معاملتهم، ولا يخفى ما في ذلك من طيب الحياة،
وسرور النفس، وما في ضدها من سوء الحال وسقوط
الشرف، وتنغص الحياة.
والفارق بين الرجلين هو الدين، فصاحب الدين منبسط
النفس، مطمئن القلب.. فقد تبين لك أن السعادة واللذة
الحقيقية بجميع أنواعها تابعة للدين ..

"أنواع الدين"

واعلم يا أخي أن الدين نوعان :
أحدهما : أعمال وأحوال وأخلاق دينية ودنيوية، وكما
ذكرنا أنه لا سبيل إلى حصول الحياة الطيبة إلا بالدين ..
والثاني : علوم ومعارف نافعة، وهي علوم الشرع والدين،
وما يعين عليها ويتوصل إليها به، فالاشتغال بها من أجل
العبادات، وحصول ثمرتها من أكمل اللذات، ولا يشبهه
شيء من اللذات الدنيوية، واعتبر ذلك بحال الراغبين في
العلم تجد أكثر أوقاتهم مصروفة في تحصيل العلم، فيمضي

الوقت الطويل، وصاحبه مستغرق فيه يتمنى امتداد الزمن، وهذا عنوان اللذة، فإن المشتاق يقصر عنده الوقت الطويل، ومن ضاق صدره بشيء يطول عليه الوقت القصير.

”فضل العلم”

وصاحب العلم في كل وقت مستفيد علوماً يزداد بها إيمانه، وتكمل بها أخلاقه، والمتصفح للكتب النافعة، لا يزال يعرض على ذهنه عقول الأولين والآخرين ومعارفهم وأحوالهم الحميدة، وضدّها، في ذلك معتبر لأولي الألباب .. فكم من قصة تمر عليك في الكتب تكتسب بها عقلاً جديداً، وتسلّيك عند المصائب، بما جرى على الفضلاء، وكيف تلقوها بالرضا والتسليم واغتنموا الأجر من العليم الحكيم.

والعلم يُعرفك طرقاً تُدرك بها المطالب، وتُدفع بها المكارِه والمضارّ.

”أنواع العقل”

والعقل عقلاّن : عقل غريزيّ، وهو ما وضعه الله في

الإنسان من قُوَّةِ الذَّهْنِ في أُمُورِ الدِّينِ والدُّنْيَا، وعَقْلٌ مكتسبٌ، إذا انضمَّ إلى العقلِ الغريزيِّ ازدادَ صاحِبُه حَزْمًا وبَصِيرَةً، فكما أنَّ العقلَ الغريزيَّ ينمو بنمو الإنسان حتى يبلغَ أَشَدَّهُ، فكذلك العقلُ المكتسبُ له مادَتان للنمو :

مادةُ الاجتماعِ بالعقلاءِ والاستفادة من عُقُولِهِمْ وتَجَارِبِهِمْ، تارةً بالاقتداء، وتارةً بمشاورتهم ومُبَاحَثَتِهِمْ، فكم ترقى الرَّجُلُ بهذه الحالِ إلى مراقبي الفلاح، ولهذا كان انزواء الرجلِ عن الناسِ يُفَوِّتُهُ خيراً كثيراً، ونفعاً جليلاً، مع ما يُحْدِثُهُ الاعتزالُ من الخيالاتِ وسوءِ الظَّنِّ بالنَّاسِ، والإعجابِ بالنَّفْسِ الذي يُعْبِرُ عن نَقْصِ الرَّجُلِ، وربما ضرَّ البدنَ، فإنَّ مُخَالَطَةَ النَّاسِ تَفْتَحُ أَبْوَاباً مِنَ الْمَصَالِحِ، وتَسْلِيكٌ وتُقْوَى قَلْبُكَ، وفي ضَعْفِ الْقَلْبِ ضَرَرٌ عَلَى الْعَقْلِ، وَضَرَرٌ عَلَى الدِّينِ، وَضَرَرٌ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَضَرَرٌ عَلَى الصَّحَّةِ.

”معاملة الناس بحسب أحوالهم”

وينبغي للإنسان أن يُعاملَ النَّاسَ، بحسبِ أحوالِهِمْ، كما كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يحسنُ خُلُقَهُ مع الصَّغِيرِ والكَبِيرِ قال تعالى :

(خُذِ الْعَفْوَ). سورة الأعراف، الآية : ١٩٩ .

أَيَّ خُذْ مَا صَفَا لَكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْخَلْقِ، وَدَع عَنْكَ مَا تَعَسَّرَ مِنْهَا .. فيجالس أبناء الدنيا بالأدب والمروءة، والأكابر بالتوقير، والإخوان والأصحاب بالانبساط، والفقراء بالرحمة والتواضع، وأهل العلم والدين بما يليق بفضلهم .. فصاحب هذا الخلق الجليل تراه مبهج النفس في حياة طيبة.

"العلوم النافعة والعلوم الضارة"

وَأَمَّا الْمَادَّةُ الثَّانِيَةُ لِلْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ فَهِيَ الْإِشْتَغَالُ بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، فَتُسْتَفِيدُ بِكُلِّ قَضِيَّةٍ رَأْيًا جَدِيدًا، وَعَقْلًا سَدِيدًا، وَلَا يَزَالُ الْمُسْتَغَلُّ بِالْعِلْمِ يَتَرَقَّى فِي الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ. وَالْعِلْمُ يُعَرِّفُكَ بِاللَّهِ، وَكَيْفَ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ، يُعَرِّفُكَ كَيْفَ تَتَوَسَّلُ بِالْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ إِلَى أَنْ تَجْعَلَهَا عِبَادَةً تُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ. وَالْعِلْمُ^(٣٤) يَقُومُ مَقَامَ الرِّيَاسَاتِ وَالْأَمْوَالِ فَمَنْ أَدْرَكَ الْعِلْمَ فَقَدْ أَدْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ. وَكُلُّ هَذَا فِي الْعُلُومِ النَّافِعَةِ. وَأَمَّا كُتُبُ الْخِرَافَاتِ وَالْمُجَوِّنِ فَإِنَّهَا

(٣٤) "وَفَضَّلَ الْعَالَمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ..."
رواه الترمذي (صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٤٢).

تُجِلِلُ الأخلاقَ وتُفَسِّدُ الأفكارَ والقلوبَ، بِحَثِّهَا عَلَى
الاقْتِدَاءِ بِأَهْلِ الشَّرِّ، وَهِيَ تَعْمَلُ فِي الْإِيمَانِ وَالْقُلُوبِ عَمَلِ
النَّارِ فِي الْمَشِيمِ.

”حقوق الأصحاب“

فلما تلا النصيحُ لصاحبه هذه المواضعَ، وبرهنَ عليها.
قال له المنصوح : والله لقد انجلي عني ما أجْدُ في أوَّلِ
موضوعٍ تلوته عليَّ، وانزاح عني الباطلُ في شرحك الأولِ.
وإنَّ مجلسك يا أخي ونصيحتك بهذه الطريقة النَّافعةُ تُعَدُّ
عِنْدِي الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، فَأَحْمَدُ اللهَ أولاً حَيْثُ قِصَّكَ لِي،
وَأشْكركَ شُكْرًا كَثِيرًا حَيْثُ وَفَيْتَ بِحَقِّ الصُّحْبَةِ، وَلَمْ تَصْنَعْ
مَا يَصْنَعُهُ أَهْلُ الْعُقُولِ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْا مِنْ أَصْحَابِهِمْ مَا
يَسُوؤُهُمْ قَطَعُوا^(٣٥) عَنْهُمْ حَبْلَ الْوَدَادِ فِي الْحَالِ، وَأَعَانُوا
الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمْ، فَازْدَادَ بِذَلِكَ الشَّرُّ عَلَيْهِمْ، وَضَاعَ بَيْنَهُمْ

(٣٥) لبت أحببنا يعون ذلك تمام الوعي حيث نرى اختلاف بعض الأصحاب
يؤدي بهم إلى الكراهية والحقد بل وأحياناً يؤدي بهم إلى الكيد والأذية نعوذ بالله
من أمراض القلوب.

التَّفَاهُْمُ وَإِنِّي لَا أُنْسَى جَمِيلَ مَعْرُوفِكَ حَيْثُ رَأَيْتَنِي سَادِرًا فِي
الْمَهَامَةِ مَغْرُورًا بِنَفْسِي مُعْجَبًا بِرَأْيِي، فَأَرَيْتَنِي بِعَيْنِي مَا أَنَا فِيهِ،
وَأَوْقَفْتَنِي بِحِكْمَتِكَ عَلَى الْهَلَاكِ الَّذِي وَقَعْتُ فِيهِ، فَالآنَ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا مَضَى وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى سُلُوكِ
مَرْضَاتِهِ، وَأَفْرَعُ إِلَيْهِ أَنْ يَخْتِمَ^(٣٦) بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالِي، وَأَحْمَدُ
اللَّهَ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَإِنَّهُ مُوَلِي النِّعَمِ، دَافِعُ
النِّقَمِ، غَزِيرُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ.

انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

(٣٦) هنيئاً لمن كانت خاتمة حسنة أولئك من الذين أنعم الله عليهم وثبتهم بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ووالدينا
وأحبابنا ومشايخنا منهم.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة الطبعة الأولى
٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	حول هذه المحاوره
٨	محادره دينيه اجتماعيه
٨	خطر الإقامه بين الكفار
١٠	الإعجاب بالكفار وأعمالهم
١٢	أفتفريط المسلمين نحتج على الدين؟!
	من الخطأ الحكم على الإسلام من خلال واقع المسلمين
١٣	المسلمين
١٤	الجهاد في سبيل الله
١٥	أكون المسلم خدناً لأعدائه؟!
١٧	ترك الدين رغبه في حضارات الغرب
١٩	هلاك المسلم في ترك دينه
٢٠	أثر المجلس الصالح ومجلس السوء

الصفحة	الموضوع
٢٢	البحث عن الحق
٢٣	بطلان ما عليه الملحدون
٢٤	فضل طالب العلم الشرعي على غيره
٢٧	سعادة الدنيا والآخرة بالدين
٢٨	أصول اللذات
٢٩	لذات القلوب
٣٠	القناعة والطمأنينة
٣٣	جهة استعمال النعم
٣٦	صبر المؤمنين على المصائب
٣٨	من فقد الإيمان فقد الصبر
٣٩	معاشرة الخلق
٤١	اثر طاعة الله
٤٣	أنواع الدين
٤٤	فضل العلم
٤٤	أنواع العقل

الصفحة	الموضوع
٤٥	معاملة الناس بحسب أحوالهم
٤٦	العلوم النافعة والعلوم الضارة
٤٧	حقوق الأصحاب